من تلك البساطة ظهرت عظمته فاجمعت القلوب على احترامه وحبه واكرامه

هذا صديق السوريين واستاذ الكثيرين منهم رأينا في حفلة جائزته المسيحي والمسلم واليهودي والدرزي جسماً واحداً وعضواً واحداً في الاسف عليه والاشتراك في اكرامه واعظامه

وقد كتب الينا غيره بمثل ذلك والكل مجمعون على ان ابناء سورية ودّعوا برداعه أصدق صديق واخلص مرشد. وحبذا لو اهتم تلامذته وسريدوه باظهار الاكرام له الذي منهم من اظهاره في حياته وهو الاكتتاب بقدر من المال ينشأ به تذكار يليق بمقامه يوضع فوق لحده او في مكان آخر حيث يراه ابناؤنا فيتذكرون فضله

الصناعة العربية

لما كان العرب في جزيرتهم لم يكن لهم صناعة تذكر بين الصناعات القديمة المشهورة لا في البناء ولا في النقش. وكل ما رأيناه من رسوم آثارهم وتماثيلهم التي وجدت في مدائن اليمن وحضرموت لا يدل على تفوق في الصناعة يقابل بما وجد في بابل وفينيقية ومصر والهند والصين. ولما ظهر الاسلام وخرج العرب من جزيرتهم ودوّخوا الاقطار وورثوا ممالك الفرس والروم وقطعوا الى اوربا حوّلوا الكنائس الى مساجد واستخدموا الصنّاع من الفرس والروم في بناء المباني وزخرفتها ومرّت القرون وهم يستقدمونهم مأجورين كما فعل الوليد لما بنى الجامع الاموي في دمشق او يجلبونهم في جملة الغنائم كما فعل تيمورلنك بصنّاع دمشق لما فتحها

هذا ما ظل الزاة يفعلونه حتى القرن التاسع فما قولك بما كانوا يفعلونه في القرون الاولى. الاّ ان الصناع الذين استخدمهم ملوك العرب سواء كانوا من الروم او الفرس او من العرب انفسهم او من ابناء البلدان التي تسلطوا عليها لم يعتنوا برسم الصور ونقش التماثيل الاّ في الاندلس وكانوا يكتفون برسم الاوراق والازهار والاشكال الهندسية فنشأت من ذلك صناعة خاصة تعرف الآن بالصناعة العربية. وبهروا فيها مهارة فائقة وادخلوها في كل مصنوعاتهم من الحجر والخشب والعظم والعاج والصدف والحديد النحاس والفضة والذهب. وترى مصنوعاتهم في مساجدهم وقصورهم وبيوت كبرائهم تستوقف الابصار بحسن رواثها واحكام اجزائها وقد خلّفوا منها في اسبانيا ما لا يزال آية في الجمال

وشاعت هذه الصناعة في المساجد وفي الكنائس ايضاً فتجدها في كنائس القبط القديمة

كما تجدها في مساجد المسلمين . وقد احتفظ بعض ابناء هذا القطر بها ومنهم المرحوم ابادير وعبد الخرّاط واخوهُ وابنهُ تادرس افندي ابادير وقد رأينا لهم مصنوعات بالغة حد الاتقان في مساجد مصر ومدافنها ولاسيما في جامع الرفاعي ومدافن امراء العائلة الخديويّة وهي في الخشب والعاج والرخام والنحاس والفضة وتشمل النوعين القطع الهندسيةَ والاوراق المتداخلة

ومنذ عهد قريب اراد لورد كرزن حاكم الهند السابق ان يهدي هدية نفيسة الى بعض اصدقائهِ في بلاد الهند فاختار ان يصنع لهم قنديلاً مثل القنديل الشهير الذي كان معلقاً في مدفن السلطان بيبرس فاستشار مدير دار التحف المصرية فاشار عليهِ ان ينتدب لصنعهِ تادرس افندي ابادير فصنعهُ لهُ فجاء طبق الاصل تماماً في كل شيء وهو المرسوم في الشكل المقابل وكتب لورد كرزن اليهِ كتاباً انكليزيًّا يقول فيهِ ما ترجمتهُ

"يقول لورد كرزن بزيد السرور ان تادرس ابادير صنع لهُ قنديلاً من النحاس المطعَّم بالذهب والفضة على مثال القنديل الشهير الذي كان معلقاً في ماضي الزمان في مدفن السلطان بيبرس الثاني وان هذا القنديل الذي سيعلق في مدفن التاج بمدينة اكرا في بلاد الهند قد بلغ من دقة الصنعة ومزيد الاتقان ما يشهد بالحذق العظيم لصانعهِ تادرس ابادير"

ولقد قضى تادرس افندي على صنع هذا القنديل ثانية عشر شهراً فجاء آية في الصناعة . ومصنوعاتهُ ومصنوعات المرحومين والدهِ وعمهِ تشهد لهم انهم احتفظوا بهذه الصناعة واتقنوها . وقد رسمنا في الشكل التالي صورة باب من ابواب الخزائن التي صنعوها وهو من الخشب والعاج والابنوس وكلهُ قطع محكمة على اشكال هندسيّة يتصل بعضها ببعض من غير غراء فتأتي متينة كأنها قطعة واحدة ولا يؤثر فيها جفاف الهواء في القطر المصري

ولهذه الصناعة شأن كبير عند الاوربيين فترى المستشرقين منهم يأخذون اثاثيرتهم من القطر المصري ويباهون بهِ . دعانا الاستاذ مايس الاثري المشهور الى بيتهِ في مدينة لندن فلما دخلنا غرفة الاستقبال ظننا انفسنا في القطر المصري في غرفة اثاثها كلهُ من عمل المشربيّة . واهدينا امتعة سوريّة الى بعض اصدقائنا في اميركا فكتبوا الينا ان كل الذين شاهدوها من الاميركيين اعجبوا بها وفضّلوها على ما يصنع في اوربا واميركا

فعسى ان يحتفظ ابناء مصر والشام بصناعتهم القديمة ويزيدوها اتقاناً فانهُ لا يبعد ان تصير من جملة ابواب الكسب الكبيرة ولا نعني صناعة الخشب والعظم والعاج وحدها بل ايضاً صناعة النسيج المفروش والمعرَّق . وعسى ان يزيد اهتمام الوطنيين بها فيعتمدوا عليها في فرش بيوتهم بدلاً من اعتمادهم على المصنوعات الاوربيّة فيقوى الصناع على زيادة اتقانها

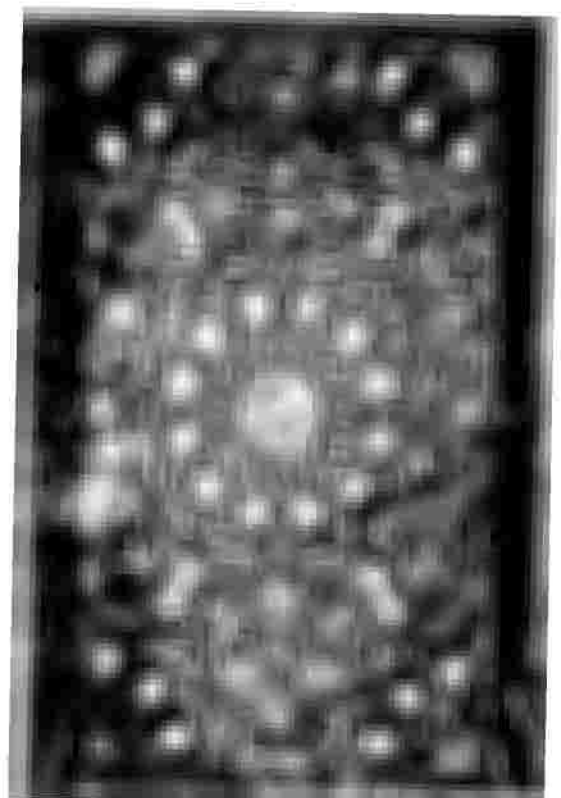

صورة من باب مطعم بالعاج والابنوس

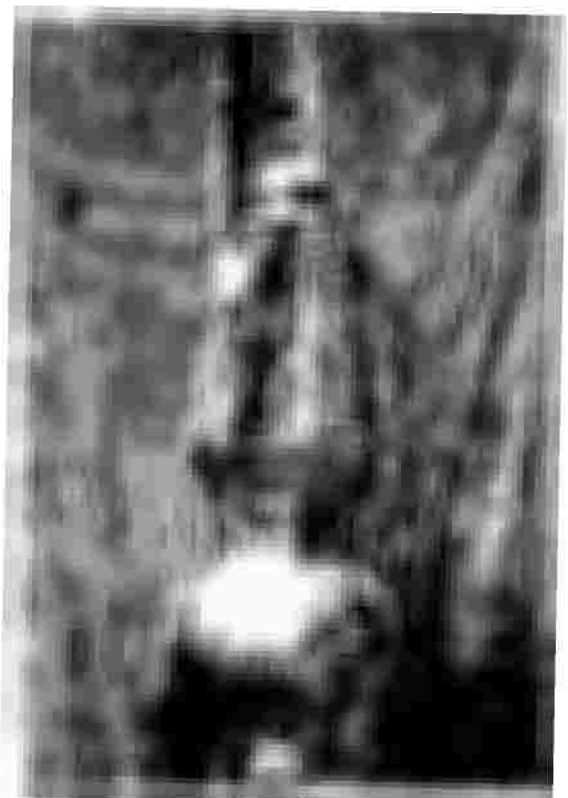

صورة القنديل الهندي الى الهند